التغيير تواصل نشر ترجمة ملخص كتاب عن ابن سلمان والسلطة (4)

التغيير

تنشر صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية مقتطفات لأهم ما جاء في كتاب "إم بي إس: صعود محمد بن سلمان إلى السلطة"، والذي ألفه بن هوبارد مدير مكتب الصحيفة في بيروت، ونشره قبل أسابيع.

وأثار الكتاب ضجة كبيرة عند نشره، نظرا لأهمية الكتاب، ولاحتوائه على معلومات مثيرة عن صعود محمد بن سلمان من الظل إلى السلطة.

وفيما يأتي الحلقة الرابعة من هذه المقتطفات:

في وقت مبكر من القرن العشرين، قام سليل من آل سعود اسمه عبد العزيز، وهو جد محمد بن سلمان، بإحياء حملة الجهاد لاستعادة أرض أجداده.

سار بجنوده يقودهم من على ظهر بعير، وسعى لإعادة بناء التحالف مع ذرية محمد بن عبد الوهاب، الذين استمد منهم الشرعية الدينية لحكمه. وعلى مدى ثلاثة عقود تمكن عبد العزيز من إخضاع معظم جزيرة العرب لسلطانه، وراح يحكمها ويدير شؤونها من عاصمته الجديدة، الرياض.

لكن صعود هذا الكيان السياسي الأصولي أربك القوى الغربية وحيرها في وقت كانت ترسخ أقدامها حول الخليج الفارسي، ووجد الملك عبد العزيز نفسه أمام واحد من خيارين: إما أن يستمر في جهاده التوسعي، الأمر الذي سيحتم عليه الصدام مع البريطانيين، أو أن ينشئ دولة حديثة. ذهب إلى الخيار الثاني وأعلن تأسيس مملكة آل سعود في عام 1932.

لولا اكتشاف النفط في عام 1938 لربما بقيت المملكة على الأغلب صحراء خلفية منعزلة لا يعيرها جل العالم كثيراً من الاهتمام. إلا أن النفط جلب إليها المضاربين والفنيين وشركات النفط وممثلي الحكومات الغربية وكلهم يريدون الوصول إلى ذهب المملكة الأسود، بمن في ذلك الولايات المتحدة. وفي اجتماع سري عقد في عام 1945 بين الرئيس فرانكلين دي روزفيلت والملك عبد العزيز على ظهر سفينة حربية أمريكية داخل قناة السويس، دشن الزعيمان حقبة جديدة ووضعا الأساس لاتفاق دائم يضمن لأمريكا الوصول إلى منابع النفط السعودي مقابل أن تقوم الولايات المتحدة بتوفير الحماية للمملكة من أي هجمات خارجية. أضحت تلك الاتفاقية عموداً من أعمدة السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وظلت سارية حتى القرن التالي.

شحن تدفق الثروة النفطية الموروثات من تاريخ المملكة، حيث مول السعوديون الجهود الدولية لنشر تعاليم محمد بن عبد الوهاب، الأمر الذي حول الوهابية إلى قوة دينية عالمية. وغدت أرامكو، شركة النفط المملوكة حصرياً لآل سعود، الشركة الأعلى قيمة على الإطلاق في العالم. وأصبح آل سعود واحدة من أغنى السلالات في العالم.

توفي الملك عبد العزيز في عام 1953 بعد أن تزوج في حياته 18 امرأة وخلف منهن 36 ابناً و27 بنتاً. لم تدخر ذريته من بعده وسعاً في التكاثر، فتشكلت منهم ومن ذراريهم عشيرة ضخمة حملت البلاد اسمها بينما استمتع أفرادها بثراء هائل وامتيازات كبيرة.

أصبح تعدادهم بالآلاف وكلهم يعيشون في رعاية الدولة. في عام 1996، زار دبلوماسي أمريكي المكتب المكلف بتوزيع المخصصات عليهم فوجد سيلاً من الخدم جاؤوا ليستلموا مخصصات ساداتهم، والتي تفاوتت حسب مواقعهم. يستلم كل واحد من أبناء وبنات الملك عبد العزيز 270 ألف دولار، ويستلم كل واحد من

أحفاده مبلغاً يصل إلى 27 ألف دولار بينما يستلم كل واحد من أبناء الأحفاد 13 ألف دولار. أما أبعد الأقارب فيحصل على 800 دولار. كما يحصل كل واحد من الأمراء على هبة قيمتها مليون دولار لبناء قصر عندما يتزوج، وكلما رزق الواحد منهم مولوداً يصله أيضاً مبلغ من المال بهذه المناسبة. قدر ذلك الدبلوماسي أن مخصصات الأمراء تكلف الدولة ما يزيد عن 2 مليار دولار في العام الواحد، وإن كان ذلك مجرد تخمين منه.

جزء كبير من هذه الأموال يصب في نهاية المطاف في المجتمع ثمناً لكسب ولاء الشعب للعائلة الملكية.

يقول أحد أبناء سلمان إنه ينفق ما يزيد عن مليون دولار من ماله الخاص خلال شهر رمضان، حيث يقيم الولائم لرعاياه. ومع ذلك يعيش أفراد العائلة الملكية حياة مرفهة وينفقون بإسراف، من أساطيل القوارب الخاصة إلى بناء القصور في لوس أنجيليس وموناكو، ويقضون إجازاتهم في بلدان أجنبية ينفقون فها بسخاء لدرجة أن المجتمعات التي يحلون فيها تشهد ازدهاراً اقتصادياً.

عدد أفراد العائلة الملكية كبير جداً لدرجة أنهم يشكلون مجتمعاً صغيراً خاصاً بهم له قواعده وقوانينه الخاصة، بما في ذلك التحفظ العميق والاحترام الشديد للأقدمية، حتى أنهم يحفظون تواريخ ميلاد بعضهم البعض. وهذا ما ييسر لهم الانضباط في الصف حسب ترتيب الأعمار من الأكبر إلى الأصغر، بنفس السهولة التي يلتئم فيها سرب طيور الأوز على شكل حرف V إذ يحلقون في الآفاق ميممين نحو الجنوب استعداداً للشتاء.

مازالت جدران وأسوار الدرعية الطينية قائمة كما هي، تلك الواحة التي منها انطلق كل شيء، على مسافة قصيرة بالسيارة من الرياض التي باتت الآن عاصمة حديثة يقطنها ثمانية ملايين نسمة تنتشر فيها مجمعات التسوق الكبيرة وناطحات السحاب والطرق الخارجية السريعة والعريضة.

هناك في الرياض أمضى سلمان حياته، وهناك أعد ابنه للمستقبل.

ولد سلمان بعد ثلاثة أعوام من تأسيس مملكة آل سعود، ولقد تذكر فيما بعد في حياته أنه عندما كان طفلاً كانت عائلته ماتزال تعيش في الخيام جزءاً من السنة. ولكن ما أن وصل مرحلة الشباب حتى غيرت ثروة النفط حياة أفراد العائلة الملكية فتحولوا إلى سكان قصور ولاعبين على المسرح الدولي.

إن احترام العائلة للأقدمية هو الذي صاغ الطريقة التي ما لبثت تحكم من خلالها المملكة، فبعد أن مات

الملك عبد العزيز في عام 1953، انتقل الحكم من بعده إلى سلسلة متعاقبة من أبنائه من الأكبر إلى الأصغر، ومن تم تجاوزه من الأشقاء فإنما تجاوزوه إما لأنه لم يرغب في أن يحكم أو لأن بقية العائلة أجمعت على عدم أهليته للحكم. (أما النساء فليس لهن في السياسة نصيب). ما دون الملك، تدار البلاد من قبل كبار الأمراء الذين يتقاسمون فيما بينهم الوزارات الأساسية: الأمن الداخلي، والجيش، والحرس الوطني والشؤون الخارجية. وتتخذ القرارات فيما بينهم بالإجماع.

كان ترتيب سلمان 25 من بين أبناء والده الذين يعدون 36 ابناً، بما يعني أنه كان طوال حياته يحتل مرتبة متدنية في سلم الانتظار على العرش، ولذلك كانت فرصته في أن يصبح ملكاً ضئيلة جداً، فقد كان عدد من يتقدمونه في قائمة الانتظار كبيراً. في نفس الوقت لم يتسن له أن يتسلم وزارة قوية من الممكن أن يستخدمها لتمكين أبنائه. إنما الذي حصل أنه عندما كان في العشرينيات من عمره صدر أمر بتعيينه أميراً لمنطقة الرياض، وهي الوظيفة التي ظل ممسكاً بها لما يقرب من خمسين عاماً تحولت خلالها الرياض من مجرد بؤرة استيطانية في الصحراء إلى مدينة كبيرة.

بفضل حكمه للرياض، أصبح الأمير سلمان همزة وصل بين العائلة الملكية والمجتمع. حافظ على العلاقات مع القبائل وكان عليماً بها خبيراً بأنسابها وبما بينهما من تنافس وما خلفها من تاريخ. كانت الرياض أكبر مدينة في وطن الوهابية الأصلي، منطقة نجد، وكان سلمان كثيراً ما يستضيف رجال الدين في ديوانه. إلا أن وظيفة سلمان الأساسية كانت استقبال الرعايا الذين يأتون لطلب المساعدة منه. من كان منهم لديه أقارب مرضى كان يأتي طلباً للمال حتى يتمكن من دفع تكاليف العلاج وما قد يحتاج إليه من عمليات جراحية. وكان المزارعون يطرقون بابه للتوسط في نزاعات على الأراضي. وكانت العائلات التي ينتظر أبناؤها تطبيق حكم الإعدام فيهم تأتي لمناشدته للتدخل والحيلولة دون قطع رؤوسهم.

عبر السنين، رُزق سلمان عدداً كبيراً من الأبناء. أنجبت له زوجته الأولى، واسمها سلطانة بنت تركي السديري – والسديري من أشهر وأعرق العائلات في المملكة، خمسة من البنين وبنتاً واحدة. درس ابنه الكبير فهد في جامعات كاليفورنيا وأريزونا ودخل عالم سباق الخيول في بريطانيا، ولعل ذلك ساهم في انكشافه على الغرب وتعرفه عليه. بعد أن غزا صدام حسين الكويت في عام 1990، كان فهد كثيراً ما يتحدث مع الصحفيين الغربيين الذين انهالوا على المملكة لتغطية أحداث الحرب.

كان ابنه الثاني سلطان عقيداً في سلاح الجو السعودي، وكان أول عربي وأول مسلم يسافر إلى الفضاء على متن مكوك الفضاء ديسكفري في عام 1985. يحب سلطان التزلج، وكان يدير هيئة السياحة في المملكة، وكان مولعاً بالولايات المتحدة حتى أنه قال يوماً لدبلوماسي أمريكي "بعض أفضل أيام حياتي هي التي

قضيتها في الولايات المتحدة."

ثم يأتي من بعده أحمد الذي درس في كلية المناجم في كولورادو وتخرج من أكاديمية وينتويرث العسكرية قبل أن ينضم إلى سلاح الجو. ثم بعد ذلك انتسب إلى جامعة كاليفورنيا في إرفين. عين فيما بعد رئيساً للشركة الإعلامية التابعة للعائلة. وفي عام 2002 أحدث ارتباكاً في سباق الخيول عندما اشترى الحصان الأصيل "لواء الحرب" بمبلغ 900 ألف دولار قبل ثلاثة أسابيع فقط من فوزه بسباق كينتاكي داربي. وصفه بعض من كانوا على معرفة به في حديث لصحيفة لوس أنجلس تايمز بأنه "رجل أنيق وذو شارب مشذب ومنديل جيب، غاية في البساطة لدرجة لا يتصور معها أن يكون من أعضاء العائلة المالكة في الجزيرة العربية."

الابن التالي هو عبد العزيز، ويكاد يكون الأمير الوحيد الذي عمل في قطاع النفط في المملكة، حيث تصدر للجهود المبذولة لتحديث القطاع، وعين فيما بعد وزيراً للطاقة.

أصغر أولاد سلمان اسمه فيصل، وهو حاصل على الدكتوراه من جامعة أكسفورد، وكان زميل بحث في جامعة جورجتاون. أسس شركة استثمارات سعودية اسمها جدوي، وأيضاً كان يهوى اقتناء الخيول الأصيلة.

أنجبت زوجة سلمان الأولى ابنة واحدة اسمها حصة، كانت تعمل مع هيئة حقوق الإنسان في المملكة وفيما بعد دخلت في مشاكل قانونية في فرنسا بعد أن اتهمها سمكري بأنها أمرت حارسها الشخصي بقتله.

ذات مرة أصيبت سلطانة بمرض في الكلية ما لبث أن تفاقم مع الزمن، فقضت معظم وقتها محاطة بالأطباء أو في السفر إلى الخارج للعلاج. فتزوج سلمان فهدة بنت فلاح آل هذلين، وهي امرأة قصيرة من عائلة معروفة أنجبت له ستة أبناء آخرين. (وتزوج سلمان لفترة قصيرة امرأة ثالثة أنجبت له ولداً اسمه سعود).

ابن فهدة الأكبر هو محمد بن سلمان، الذي ولد في 31 من شهر أغسطس / آب من عام 1985.